تلقي الصحابة الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم

ثم ذكر بعد ذلك من لم يجد التفسير في الوحيين في القرآن والسنة، يقول: وأحيانا إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة فأين نأخذه؟ يقول: رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم. وقد تقدم أن الصحابة رضي الله عنهم تلقوا الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعلموا الآيات ثم تعلموا العمل بالآيات. تعلموا العمل بهن، وتعلموا أيضا من النبي صلى الله عليه وسلم المعاني، كما تقدم عن عبد الله بن حبيب السلمي قال: حدثنا الذين يقرئوننا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهما؛ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها، قال: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا. فهذا دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم المعاني كما يعلمهم الألفاظ. ثم إن بعضهم ينسب التفسير إلى نفسه، ولا يذكره مرفوعا، كأنهم مالوا إلى الاختصار، يفسر الآية من نفسه؛ وذلك مع كونه أخذه مرفوعا، أخذه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو تفسير الكثيرين. يوجد تفاسير عن كثير من الصحابة ولا يصرحون بأنه منقول، وإنما يذكرونه كتفسير من أنفسهم؛ مع أن مثله لا يقال بالرأي. فيكون له حكم الرفع. ذكر العلماء في مصطلح الحديث أن الحديث الموقوف قد يكون مرفوعا حكما ، وأن المرفوع ينقسم إلى قسمين: مرفوع صريحا، ومرفوع حكما. والمرفوع حكما هو الذي يتكلم به الصحابي ولا يسنده لا يرفعه، ولكن نعرف أنه لا يتجرأ عليه، ولا يقوله من قبل نفسه؛ فإن في ذلك تجرؤا على الله. والصحابة رضي الله عنهم قد نزههم الله تعالى فهم أورع من أن يقولوا على الله تعالى بلا علم؛ فإن القول على الله بلا علم كبيرة قد يكون أكبر من الشرك، ثم قال تعالى: { وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } وقال تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } وأخبر تعالى بأن الذين يتخبطون في الحلال والحرام أنهم مخطئون؛ لقوله: { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ } . فالصحابة أورع من أن يتخبطوا في الأحكام، فإذا رأينا لهم تفاسير توضح الآيات المجملة، ولم يكن للرأي فيها مجال؛ حملناها على أنها مرفوعة، وفي ذلك تفصيل يأتي إن شاء الله. يقول: إن الصحابة أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن؛ يعني هم الذين حضروا التنزيل، وعرفوا أسبابه، وشاهدوا نزوله وما شاهدوه من الأحوال التي اختصوا بها، يعني خصائصهم وهي صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وحضور التنزيل، ولما لهم من الفهم التام. أيضا أن لهم فهما ليس لغيرهم. فهمهم أقوى من فهم غيرهم وأسلم، ولما لهم من العلم الصحيح، ولما لهم من العمل الصالح، والعمل الصالح سبب للعلم، اقرأ قول الله تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } فهم أورع الناس وأتقى الناس؛ فلا جرم علّمهم الله تعالى وفتح عليهم، وكل من أصلح عمله؛ فإن الله تعالى يصلح قوله.